اللقاء الرابع من لقاءات التفسير
في شهر رمضان المبارك من عام 1437هـ

الجزء السادس: سورة المائدة
الآيات من 20- 26

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

/http://www.muslimat.net

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا هو صاحب المنّة والعطيّة التي لا يَقدر قدرها، أعطانا من غير سبب ابتدأنا بالمواهب قبل السؤال، ووهبنا ما تقوم به ووهبنا ما تقوم به أبداننا وأرواحنا، وأعطانا وكفانا وآوانا ومن كل ما سألناه ربنا أعطانا، فله الحمد أولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، ومن أعظم ما يُحمد عليه سبحانه وتعالى:

- الهداية لهذا الدّين القويم
- ونزول نعمته العظيمة القرآن الكريم على نبيّه صلى الله عليه وسلم
- وإتيان الأخبار عن الأقوام التي سبقتنا وعن الأنبياء الكرام وما حصل بين هؤلاء الأنبياء وبين أقوامهم؛ ليكون ما خُبّرنا به سبب لاستقامتنا على طاعة الله والحذر من الوقوع في معصيته، وأخذ الأسباب الموصلة إلى رضاه.
  - وهو سبحانه الذي يريد بعباده اليُسر ولا يريد بهم العسر.
  - وهو سبحانه الذي شرّع الشرع فجعله شفاء للقلوب وصلاح للأبدان.

الجزء السادس سورة المائدة
وقالت اليهود والنصارى نحن أبناؤا الله وأحباؤه قل
فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض
وما بينهما وإليه المصير ﴿١٨﴾ يا أهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل
شيء قدير ﴿١٩﴾ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا
وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين ﴿٢٠﴾ يا قوم ادخلوا
الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا
على أدباركم فتنقلبوا خاسرين ﴿٢١﴾ قالوا يا موسى إن
فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن
يخرجوا منها فإنا داخلون ﴿٢٢﴾ قال رجلان من الذين يخافون
أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم
غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴿٢٣﴾
١١١

الجزء السادس سورة المائدة
قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب
أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴿٢٤﴾ قال رب إني
لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين ﴿٢٥﴾ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة
يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين
﴿٢٦﴾ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل
من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك
قال إنما يتقبل الله من المتقين ﴿٢٧﴾ لئن بسطت إلي يدك
لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله
رب العالمين ﴿٢٨﴾ إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون
من أصحاب النار وذلك جزاؤا الظالمين ﴿٢٩﴾ فطوعت
له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴿٣٠﴾
فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري
سوءة أخيه قال يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا
الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين ﴿٣١﴾
١١٢

ومن هذه الأخبار ما أتانا في سورة المائدة عن موسى عليه السلام وقومه، وما وقع منهم حال أمره صلى الله عليه وسلم وصلى الله على نبـيـــنا محمد وصلى على الأنبياء جميعًا، حال أمره قومه بأن يدخلــوا {الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ} التي هي بلدهم الذي خرجوا منه ودخلوا تحت الاستعباد والقهر.

ولما يأتي هذا الخبر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، إنما يأتي لبيان قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغيّ ، وأن حالهم من الزمن الأول بعيد عن الحق، ويخبر عن سوء اختيارهم لأنفسهم وشدة خلافهم لأنبيائهم.

وهذا قد كان مر معنا ونحن نتدارس من سورة البقرة كيف أن الأقوام لما نزل عليهم الحقّ بدل أن يقبلوه ويكون هذا الحق الذي نزل سبب للفصل بينهم كان سببًا لزيادة اختلافهم، وكما سمعنا في آيات سورة البقرة: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} أمة واحدة على التوحيد فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. {وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}[البقرة: 213] وهذه حال من تلك الأحوال، اختار لهم الله، أرشدهم نبيهم، خالفوا نبيهم، كان فيهم شدة خلاف لأنبيائهم وبطء إنابة إلى الرّشاد، هذا في المقابل كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه وآلائه، وكانوا من عنادهم للنبي صلى الله عليه وسلم فأتى هذا الخبر مُ سليًا للنبي صلى الله عليه وسلم، ومبيّنًا له أن هذا من عاداتهم وعادات أسلافهم فلا تأس على ما أصابك منهم، فمن عاداتهم البعد عن الحق، وكأنّه يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: تعزّى بما لاقى أخوك موسى صلى الله عليه وسلم وصلى الله على نبينا محمد.

واذكر إذ قال موسى لقومه، ثم تأتي هذه الآيات ابتدأت هذه الآية: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ} وفهمنا من ذلك، واذكر إذ قال موسى لهم: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } وهذه النعم العظيمة ذكرت في الآية: {إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ}.

نسمع الشيخ السعدي ماذا يقول:

لما امتنّ الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون وقومه وأسرهم واستبعادهم ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم.

إذن لما أتتهم المنّة الأولى بأن نجّاهم الله من فرعون وقومه وأسرهم واستبعادهم -كما كان معروف في قصة موسى وفرعون- خرجوا من مصر، كما هو معلوم شُقّ لهم البحر ومرّوا فيه، ذهبوا قاصدين لأوطانهم.

وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم جهاد عدوهم ليخرجوه م من ديارهم.

بلدهم كانت بيت المقدس ساروا في الطريق قاربوا الوصول بيت المقدس، والله قد فرض عليهم جهاد عدوهم الذي احتل بيت المقدس هذه ديارهم كان المفروض أن يصلون إليها -بعدما خرجوا من الاستعباد- ويدخلون في قتالهم من أجل أن تعود لهم ديارهم، فقال لهم رسولهم: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} وهذا مطلب لهم الصالح فيه، يعني لما يأمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم اجتمع أمرين:

١. أنها مقدسة.

٢. أنها كتبها الله لهم.

سيأتينا الآن كيف تصرفوا مع نبيهم موسى عليه السلام.

{وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}

فوعظهم موسى عليه السلام وذكرهم لِيَقدِموا على الجهاد فقال لهم: {اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} بقلوبكم وألسنتكم، فإن ذكرها داعٍ إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة.

وعظهم موسى وذكرهم من أجل أن يقدموا على جهاد عدوهم في الأرض المقدسة، فقال لهم {اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}

وذكر النعمة يكون:

- ✓ بالقلوب
- ✓ والألسنة.

ثم ذكر الشيخ ما المصلحة العائدة من ذكر النعمة؟

فإن ذكرها داعٍ لمحبته تعالى ومنشطٌ على العبادة،

ولذلك كل ما قال الإنسان: الحمد لله رب العالمين كان هذا من دواعي المحبة ومن أسباب التنشيط للعبادة.

الآن يذكرهم بنعم الله عليهم:

{إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ} يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثُّونكم على سعادتكم الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون.

إذن هذه من أعظم النعم: وهي نعمة إرسال الأنبياء، فإن موسى ذكّر قومه من بني إسرائيل بآلاء الله ونعمه بأن جعل فيهم أنبياء يأتونهم بوحيه ويخبرونهم بأنباء الغيب، وهذا لم يعط لأحد غيره في زمانه، فكانت وظيفة الأنبياء الدعاء إلى الهدى ، كلما ضلّوا وابتعدوا قالوا لهم هذا الذي يرضاه الله هذا الذي يرضاه الله. وإذا وقعوا في الخطأ حذّروهم من الرّدى، وكانوا يحثوهم على سعادته الأبدية، ويعلمونه ما لم يكونوا يعلمون. إذن اجتمع لهؤلاء هذه الأمور كلها !

- الدعوة إلى الهدى
- التحذير من الردى
- الحثّ على السعادة
- وتعليم ما لم يكونوا يعلمون

وهذا فيه خير عظيم لو كانوا يعلمون كم أنعم الله عليهم.

{وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا} تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون من إقامة دينكم.

{وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا} ويقصد بالملك أنهم بعد ما كانوا مُستعبدين مَلككم شأن أنفسكم، ولما تدخلون هذه الديار ستتمكنون من إقامة دينكم وسيُسَخّر لكم غيركم خدمًا يخدمونكم.

في مقابل أنهم كانوا في أول الأمر هم من يخدمون فرعون، الآن هم ملكوا شأن نفسهم وفي نفس الوقت لما يدخلوا تلك الدار سيكونون متمكنين وهناك من يخدمهم.

{وَآتَاكُمْ} من النعم الدينية والدنيوية {مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى، وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم.

فذكرهم بالنِّعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ}.

إذن معنى ذلك {وَآتَاكُمْ} من النعم الدينية والدنيوية {مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ}، وهم كانوا –كما هو معلوم– في ذاك الزمان ليس أحدًا خيرًا منهم، ومما آتاهم الله المنّ والسلوى والغمام، وكل هذا إنما هو من فضل الله عز وجل عليهم، فمعناه أن هذه الأفضال تتوجب أن يأتي الشكر، {مَالَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ} لما نقرأ هذه الآية نفهم أن العالمين إنما هو مصروف لما كانوا عليه يعني العالمين في زمانهم، هذا كله ما لم يؤت أحد غيرهم في زمانهم، هذا كله حثّهم من أن يصلوا لأي شيء؟ إلى أن يجاهدوا في سبيل الله.

ولهذا قال: {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ} أي: المطهرة {الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم دخولها، وانتصارهم على عدوهم.

إذن طلب منهم وأمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة يعني مقدسة بمعنى المطهرة، و لما أخبرهم هذا الخبر لما أمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة أخبرهم خبرًا مهمًا، خبر-كما قال الشيخ- خبر تطمئن به نفوسهم إن كانوا مؤمنين، ما هو هذا الخبر؟

أن الله كتبها لهم، وهذا من أعجب الأشياء! يعني يقال لهم هذه الأرض المقدسة وهي —كما تعلمون- أرض الشام وهم يعلمون تقديسها والبركة الموجودة فيها، ويعلمون أن الله تفضل بها عليهم، وقد أُخبروا أن الله كتبها لهم، فلما قيل لهم : قد كتبها الله لكم،كان الواجب أن تطمئن نفوسهم ويصدّقوا بخبر الله؛ لأن الله قد كتب لهم دخولها.

على كل حال لما نفهم هذه الآية {الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ} هذه الأرض بمعنى أنها تكون دياركم، نعرف القصة ونعرف أنهم لم يدخلوها وأنهم تاهوا.

أخبرهم موسى عليه السلام بخبر تطمئن له قلوبهم فكان متوقع أنه يحصل منهم طمأنينة وإقبال، وقلنا هنا أن موسى عليه السلام لما قال لهم إن الله كتبها لكم المقصود أن هؤلاء ليسوا بأعيانهم إنما المقصود أن بني إسرائيل يدخلوها وقد فضّلهم الله على العالمين والمقصود عالمين زمانهم.

قال لهم:

{وَلا تَرْتَدُّوا} أي: ترجعوا {عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} قد خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح بلادكم. وآخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتم -بمعصيتكم- من العقاب، فقالوا قولاً يدل على ضعف قلوبهم، وخَوَر نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله ورسوله.

إذن قال لهم: {وَلا تَرْتَدُّوا} ترجعوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين، يعني يحذرهم مما رأى من آثار تصرفاتهم، الخسارة هنا عظيمة جدًا؛ لأنهم سيخسرون دنياهم بفوات النصر وفتح البلاد وأخراهم بالثواب، يعني بما فاتهم من الثواب، وأيضًا بما استحقوا من عقاب بسبب معصيتهم، فإذن تنقلبوا خاسرين يعني تكونوا من أهل الخسار، وهذا أمر أي عقل يقبله أي خسارة لما يترك الإنسان أرضًا جُعلت له.

فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله ورسوله.

إذن هذا شأنين القول الذي قالوا يدل على أن نفوسهم خسيسة وأنهم أيضًا لا يهتمون بأمر الله.

فقالوا: {يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ} شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها.

قالوا مقابل هذا مقابل تذكيرهم بالنعم وتنبيههم أنّ الله عزوجل قد كتبها لهم في مقابل هذا ردّوا جوابًا قالوا: {إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ} يعني لما أمرهم بدخول الأرض المقدسة رفضوا ذلك، وتعللوا أن الأرض المقدسة التي تأمرنا بدخولها فيها قوم جبارين لا طاقة لنا بحربهم ولا قوة لنا بهم، وهم سموهم جبارين؛ لأنه اشتهر عنهم شدة البطش أو لأنه اشتهر عنهم أنهم عظيمين في خلقتهم.

وعلى كل حال قد يكون العدو عظيمًا لكن تكون النفس فيها من قوة الإيمان ما تتصدى لهذا العدو، وقد يكون العدو ضعيفًا لكن يكون النفس فيها من ضعف الإيمان ما تستعظم العدو.

فهم فيما يظهر كانوا جبناء وكسالى عن القيام بأمر الله فجعلوا هذه حجة لهم، حتى لو كان هؤلاء فيهم قوة لكن من آمن بالله وعرف أمر الله استجاب له، وقد سمعنا أمس عن الصحابة الكرام كيف كان موقفهم في حُميراء الأسد وكيف أنهم استجابوا لله وللرسول وقد كان أصابهم القرح، يعني كانوا أصحاب جروح من حربهم في أُحد ومع ذلك لما أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج كانوا خير من خرج رغم ما فيهم، كانوا خير من استجاب رغم ما فيهم من جروح وقروح، وهذه إشارةً إلى أن الصحابة الكرام قد استقرّ فيهم الإيمان ولذا قال الله عز وجل: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: 172] فهم يستحقون الأجر العظيم، ومن يقرأ في تفاصيل هذه القصة يراهم كيف كانوا يحملون بعضهم للقتال في سبيل الله، مع أن القرح قد أصابهم والله قد أخبر عن ذلك، في مقابل أن هؤلاء استعظموا العدو وقالوا لن ندخلها ولن نستجيب لأمر الله؛ لأن فيها قومًا جبارين، فجعلوا هذا مانعٌ من الموانع والحقيقة من ائتمر بأمر الله يرى أن العون من الله.

{وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} يعني اشترطوا على الله عزو جل هذا الشرط.

{وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ} وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدًا خاصًا.

إذن معناها يقولون لنبيهم: إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، كأنهم مدعوون إلى مأدُبة لما يخرج هؤلاء نحن سندخل، وهم مدعوون إلى الجهاد في سبيل الله والعودة إلى ديارهم، فهم يريدون أن يخرج الله الجبارين منها، فيدخلونهم فيها وهذا كما ذكر الشيخ إنما هو من الجبن والجزع من قتالهم، وكأنهم يقولون فإنا لا نطيق دخولها وهم فيها؛ لأنه لا طاقة لنا بهم.

وهؤلاء لم يبلغوا رشدهم، لو كان معهم رشدهم لعلموا أن الجميع من بني آدم وأن القوي على الحقيقة هو من يعينه الله بقوة فالكل لا حول له ولا قوة إلا بالله، ثم لعلموا أن الله سينصرهم إذا أقدموا؛ لأنه وعدهم بذلك.

وهم في هذه الحال **{قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ}** الله تعالى، مشجعين لقومهم، مُنَهِّضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم **{أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا}** بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر واليقين.

إذن، في كل زمان يكون هناك من أهل الإيمان من يقومون مقامًا لله ، وكان في هذا الزمان هذان الرجلان ، وهذا خبر من الله عن الرجلين الصالحين من قوم موسى، أن هذين الرجلين وفيًا بموسى بما عَهِد إليهم، فلما أمر موسى قومه بدخول الأرض المقدسة على هؤلاء الجبابرة الكنعانيين وردّ القوم بهذا الردّ، أجاب هذان الرجلان وكانا صفتهما الخوف كانوا يخافون الله، أنعم الله عليهما بالتوفيق للإيمان والتوفيق لقول كلمة الحق، وأنعم عليهما أيضًا بالصبر واليقين.

فقالا في هذا الموقف ما يجب أن يقال من التشجيع لهم بالدخول وبيان لحقيقة الحق ، وهنا يجد الإنسان أن الله عز وجل يؤيد أنبياءه ورسله بالرجال الصالحين وبالعلماء الربانيين، ويُنعِم عليهم بهؤلاء الذين يكونون قد صدقوا في إيمانهم فيعينون النبي على وصول القوم الذين مع النبي إلى الحق، وكان وزيرا النبي صلى الله عليه وسلم أبوبكر وعمر رضي الله عنهم ا خير مثال لذلك.

{ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ} أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تدخلوا عليهم الباب، فإنهم سينهزمون.

قالوا لهم ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون، فكأنهم يقولون ليس بينكم وبين نصركم إلا أن تدخلوا عليهم الباب، بمعنى لو الإنسان جزم وعزم واستعان لابد أن يعينه الله عز وجل، ويعطيه من القوة ما يوصله إلى مراده.

قال: "فإنهم سينهزمون"، وهذا طبعا من معرفةٍ لله ومعرفةٍ لسننه و من معرفةٍ –أيضًا– لأحوال الناس وأحوال العزائم، ولذا لما يفهم الإنسان هذه السُّنّة يفهم أن أي أمر يحاوله ويأتيه من أبوابه ويثابر عليه فلابد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود،

فلذلك قال لهم ادخلوا عليهم الباب، ادخلوا من الباب الصحيح وفي كل شأن تدخل من الباب الصحيح الذي شرعه الله ستجد كيف يعطيك الله! ومعناه أنكم لا تخافون فإن الله معكم وهو ناصركم، وبينوا لهم أنهم إذا دخلوا الباب سيغلبوهم.

ثم أمَرَاهم بعدة هي أقوى العُدَد، فقالا {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ} فإن في التوكل على الله –وخصوصًا في هذا الموطن– تيسيراً للأمر، ونصرًا على الأعداء، ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله.

يقول الشيخ: ثم أمراهم بعدّة هي أقوى العدد، ما هي العدّة؟

قال الرجلان: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين، فهذه هي أعظم عدة يعدها الإنسان لأي أمر، وهي التوكل على الله وخصوصًا في المواطن التي يشتدّ فيها العجز وتقوى فيها الغلبة للعدو، فإن هذا سييسر الأمر وسيكون نصرًا على الأعداء.

ثم استنبط الشيخ من قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ} لما كان التوكل شرط الإيمان دلّ هذا على وجوب التوكّل، يعني إن كنتم مؤمنين عليكم أن تتوكلوا معناها أن شرط الإيمان أن يتوكل الإنسان على الله ومعناه إذا كان الإنسان مصدق بالأخبار الغيبية وبما أتى به الأنبياء والمرسلين من خبر عن رب العالمين، كان الواجب عليه أن يعتمد على الله، فعلى قدر إيمان العبد بكمال صفات الله وبوعد الله وبوفاء الله عز وجل لوعده على قدر ما يكون التوكل، وهو أشار لهذه الكلمة –وهي مهمة جدا – قال:

ودلّ هذا على وجود التوكل وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله.

وهذه حقيقة، كلما زاد العبد يقينًا بالله زاد اعتماده وثقته بالله عز وجل.

فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم الملام، فقالوا قول الأذلّين: {يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}.

إذن موسى عليه السلام أمرهم وأخبرهم، وهذان الرجلان الصالحان أيضا أمروهم وأخبروهم ودلوهم على الطريق الذي منه يصلون، ومع ذلك لم ينجع فيهم الكلام ولا نفع فيهم الملام.

ظهر جبنهم مرة أخرى فأجابوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها، امتنعوا عن دخولها، إنا لن ندخلها يعني لن ندخل مدينتهم أبدًا، لن على التأبيد في هذه الحال، ويقصدون أبدًا يعني أبدًا أيام حياتنا، ماداموا فيها يعني ما كان الجبارون مقيمون في تلك المدينة مع أنهم علموا أن الله كتبها لهم وأمرهم بدخولها.

إذن ماهو الحل لديهم؟ فاذهب أنت وربك فقاتلا !

جمعوا بين الجبن وسوء الأدب، ولم يقولوا له اذهب أنت فقاتل، إنما يقولوا نتركك تذهب أنت وحدك وربك فتقاتلونهم، وربما كانوا يقصدون أن اذهب أنت يا موسى وربك سيعينك أنت، وهذا يدل على ما فيهم من خصلة الكفر والضلال.

وسنرى في كلام الشيخ كيف يشير إلى حال المؤمنين المؤدبين المعظِّمين لربهم ولنبيهم صلى الله عليه وسلم.

فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق.

نعم هذا وقت ضيّق أن يحصل فيه هذه الحالة من الخذلان.

الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسه م، وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

لما تنظر لمثل هذا الموقف يظهر لك الفرق بين هذه الأمّة أمّة النبي صلى الله عليه وسلم وبين سائر الأمم.

حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم –حين شاورهم في القتال يوم بدر.

وهذا قتال يوم بدر هذا خبر عن المشورة قبل بدر لما وصلوا الكفار الصفراء وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن قريش قصدت بدرًا وأن أبا سفيان نجا بما معه، فاستشار النّاس ماذا يفعل يخرج لهم أو يتركهم.

مع أنه لم يحتّم عليهم: يا رسول الله، لو خضتّ بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغما د ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: {اذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك.

إذن هذا موقف الصحابة الكرام، كان البحر بعيدًا عنهم وكان برك الغما د من جهة اليمن من المناطق البعيدة عن المدينة، وكأنهم يقولون مهما كان من حالك وأين توجهت بنا فإنا سنذهب معك.

ومن رأى برك الغماد اليوم وهو في تهامة عَلِم بعده عن المدينة بعدًا شاسعًا، وعَلِم كيف هؤلاء الصحابة الكرام لما بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم بايعوه على أن يدفعوا عنه وهو في المدينة ، هذا الأصل لو أتى عليهم من يهجم في المدينة سيدفعون عنه لكن أن يخرجون للقتال لم يكن هذا اتفاقهم مع النبي صلى الله عليه وسلم لكن مع ذلك لما أتى الموقف الحرج ما كان منهم

الخذلان إنما قالوا كما سمعتم لو خضت بنا البحر لخضناه معك ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد وهذا برك الغماد منطقة تهامية كما يُعلم في الجنوب قريب من اليمن وهي على البحر فكأنهم يقولون مهما بعدت نحن معك.

ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك.

وهذا كله يظهر لنا كيف كان حال الصحابة الكرام وكيف أن الله اصطفاهم من بين الخلق.

فلما رأى موسى عليه السلام عتوّهم عليه {قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي} أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. {فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} أي: احكم بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودلّ ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق.

إذن لما وصل إلى هذه الحال موسى عليه السلام معهم قالوا {إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا} غضب من قيلهم له فدعا قال: {قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلا نَفْسِي وَأَخِي}، يعني لا أقدر على أحد أن أحمله على ما أحب وأنا أريد طاعتك واتباع أمرك ونهيك وما لي إلا نفسي وهذا أخي، ما أملك من الأمر شيء، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين يعني احكم بيننا افصل بيننا وبينهم يقصد أنزل عليهم عقوبة توقظهم، يريد أن يقضي الله بينهم فهو قد فعل ما يستطيع وهم قوم فاسقين خارجين عن طاعة الله، ولما علم أن القوم فاسقين بسبب هذا الفعل فهمنا أن هذا الفعل من الكبائر العظيمة وأن فسقهم ممكن أن يكون خروج عن طاعة الله، وممكن أن يصل فيكون خروجًا عن دين الله. فكان الجواب:

{قَالَ} الله مجيبا لدعوة موسى: {فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ} أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، وتلك المدة أيضًا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم منها.

وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر.

معنى ذلك أن الله عاقبهم هذه العقوبة، ما هي؟ هي أن حرّم الله عليهم دخولها {محرمة}، فحرّمها على هؤلاء الذين عصوه وخالفوا أمره من قوم موسى، ووقع منهم الإباء فأبوا حرب الجبارين حرم عليهم دخول المدينة أربعين سنة ثم فتحها عليهم وأسكنهم فيها وأهلك الجبارين بعد حرب منهم لهم بعد أن انقضت الأربعين سنة وخرجوا من التّيه.

فموسى عليه السلام لما قالوا ما قالوا ودع ا عليهم أوحى الله إليهم بهذا الأمر، وكان فيما يقال أنهم ستمائة ألف مقاتل فلبثوا أربعين سنة يسيرون كل يوم جادين لكن لا يخرجوا من مكانهم ! حتى سئموا ونزلوا لا يتحركون. أي ينزلون فيجدون نفسهم في نفس الدار لا يتحركون!

فهذا التّيه كان عقوبة بعد المخالفة ، وهذا التيه مناسب لما فعلوه فإنه سبحانه لما أرشدهم ودلّهم فلم يسترشدوا، ولما علمهم فلم يتعلّموا، واختاروا أن يكونوا على ماهم عليه من الفسق والضّلال ومخالفة أمر الله كان المناسب في حقهم أن يتيهون نكالاً لهم.

فالتِّيه باختصار أنهم يسيرون دائمًا ولا يهتدون للخروج من مكانهم، كانت تحصل لهم أمور عجيبة وخوارق كثيرة، واعلموا أن الله مع ذلك رحمهم فأنزل عليهم المنّ والسلوى وأخرج لهم ماء من الصخرة الصماء التي ضربها موسى –عليه السلام- بعصاه فانفجرت اثنتا عشرة عينا، وغير ذلك من معجزات وهنالك أنزلت التوراة وشرّعت لهم الأحكام .

فرغم أنهم تاهوا هذا التّيه لكن أيضًا عاملهم الله بلطفه ورحمته، وهذا أمر يحتاج إلى كثير من التفكير، كيف أن الله عز وجل يُعامل العاصين بهذه الطريقة فكيف بالمؤمنين؟!!

ولعل الحكمة في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات .

لماذا أربعين عام؟

لأن الحكمة أن يموت هؤلاء الذين قالوا هذا القول ويأتي بعدهم جيل أقوى ويشعروا بالتِّيه فيطلبوا المخرج.

فلقد ألفت الاستعباد لعدوها .

لأن هؤلاء الذين خرجوا من مصر، من عند فرعون فكأنها ألفت الاستعباد وما تلك القلوب التي تستعد أن تقاتل عدوها.

ولم تكن لها همم ترقيها إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة.

وهنا درس مهم إذا كانت هذه الحكمة والله أعلم معناها هناك أجيال يكون قد سرى فيهم نوع من المفاهيم تسبب لهم تصرفات غير لائقة ، فيحبس الله النصر ويحبس عطيّته عن هؤلاء إلى أن يأتي جيل يذوق طعم مرارة التِّيه مرارة التخلف مرارة البعد عن دين الله، فيكون هذا الجيل أهل لأن يتقدموا، يموت الأوائل اللي سرت فيهم هذه المفاهيم وأصبحت كالنار في الهشيم

الكل يجتمع عليها، يموت هؤلاء فلا يكونوا هم القادة ولا يكونوا هم الذين يتعاملون مع الأنبياء ولا يسوسون الناس ، فيأتي بعدهم جيل ذاق طعم الآلام فيصل إلى ما أمرهم الله كما شاء الله.

وعلى هذا نتنبّه إلى الاهتمام بصغارنا، فإن أعداءنا قد مدّوا أيديهم للصغار لتطويل زمن الغفلة التي يعيشها المسلمون، فمن فهم هذا كان أكثر جهدهم اليوم في إصلاح تربية الصغار وفي دلالتهم على الطريق وفي المحافظة عليهم من الأعداء.

ولما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق -خصوصًا قومه-، وأنه ربما رقّ لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن الله قد حتّمها، قال: **{فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ}** أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلمًا منّا.

إذن لما علم سبحانه وتعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة ، وكان ممكن أن يقع منه دعا ء لهم أو يحزن عليهم أو يقع في قلبه ما يقع على قومه الذين تمنى أن يخرجوا من استعباد موسى للعز، فوقع منهم هذا الأمر فقال له مسليًا: لا تتأسف ولاتحزن عليهم فإنهم مستحقين لما وقع عليهم.

وهذه القصة تضمنت تقريع اليهود وبيان فضائحهم، وتضمنت صبر موسى عليه السلام مع هؤلاء الذين خالفوا أمر الله، ولم يستجيبوا لما أمرهم الله . فنفوسهم ضعيفة ويقينهم ضعيف ، كيف يخاطبهم كليم الله وصفيّ الله من خلقه ذلك الزمان وكيف يعدهم بالنصر والظفر على أعدائهم، وهم الذين رأوا بأعينهم ما أحل الله بعدوهم فرعون من العذاب والنّكال والغرق له ولجنوده في اليّم، وكان هذا على مرأى ومسمع منهم من أجل أن تقرّ به أعينهم، ثم لما يأتوا في موقف بسيط مثل هذا يتقاعسون عن مقاتلة أهل البلد، وترى أهل هذه البلاد الذين أتوا إليها فليُعلم أنها مهما كانوا عظيمين ما توازي شيء في عدة قوم فرعون لكن كما اتفقنا إن الإنسان لما يكون جبان يعظِّم عدوه، ولما يكون متوكل على الله ينسى قوة العدو ويبقى متذكر قوة الله.

هذه القبائح الحقيقة لا يغطيها الليل ولا يسترها الذيل، وهم في هذا الجهل كانوا يعمهون ولا زالوا وفي غيّهم يترددون وهم أهل بغض الله وأعداءه، والعجيب الحقيقة أن بعد هذا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه هذا أعجب شيء !

فهؤلاء القوم قد آسى منهم رسول الله موسى – عليه السلام – ما آسى ووقع منهم ما وقع، وفي مقابل هذا قد سمعنا عن الصحابة الكرام كيف أنهم كانوا أهل نصرة وهو تعالى أعلم حيث يضع رسالته، فصحابة الرسل الكرام كانوا خير من يحمل هذه

الرسالة الخاتمة، جعل الله حُبنا لرسولنا صلى الله عليه وسلم ولموسى عليه السلام وللصحابة الكرام قربةً إليه وسببًا لرضاه عنا، فإنّا نحبّه ونحبّ من أحبّه ونحبّ من اصطفاه سبحانه وتعالى لحمل رسالته ولنشرها، صلى الله على نبينا وصلى الله على موسى وصلى الله على جميع الأنبياء، وجمعنا بهم شهداء لهم على أنهم بلّغوا الرسالة وأدوا الأمانة شهداء مع نبينا صلى الله عليه وسلم، و هذه مفخرة الأجيال أن تكون مستعد في الحياة للشهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أكرم الخلق أنهم بلّغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وهذا من اليقين الذي نرجو أن ينفعنا يوم الدين.

جزى الله الجميع خيرًا نفعنا الله بالقرآن وجعله شفيعًا لنا يوم أن نلقاه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.